في النحو

قـــد لا يكون

لأستاذ جليـــل

قال الأستاذ أحمد بك العوامرى فى (بحوث وتحقيقات لغوية متنوعة) فى مجلة « مجمع فؤاد الأول للغة العربية » :

« نسمع كثيراً ، ونرى فى الصحف نحو : قد يجىء محمد اليوم ، و (قد لا يجىء) ؛ ونحو : (قد لا نكون منصفين إذا قلنا كذا ... وهو ما لم يرد فى كلام العرب . فقد قال ابن هشام فى المغنى : وأما (قد) الحرفية ، فتختصة بالفعل المتصرف الخبرى المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس . وهى معه كالجزء ، فلا تنفصل منه بشىء ، اللهم إلا بالقسم ا . هـ ونحو هذا فى القاموس . وقال فى شرحه عند قوله المثبت : اشترطه الجماهير ا . هـ فلاصلاح العبارة يمتاض من (قد لا يجىء) مثلا قولك : (ربما لا يجىء) » .

أقول : وقال ابن يعيش فى شرح المفصل : « اعلم أن قد من الحروف المختصة بالأفعال ، ولا يحسن إيلاء الاسم إياه ، وهو فى ذلك كالسين وسوف . وهى (أى قد) بمنزلة الألف واللام التى للتعريف ، فكما أن الألف واللام اللتين للتعريف لا يفصل بينهما وبين المعرّف كان هذا مثله إلا أن قد اتسعت العرب فيها لأنها لتوقع فعل ، وهى منفصلة مما بعدها (فيجوز الفصل بينها وبين الفعل بالقسم) ، لأن القسم لا يفيد معنى زائداً ، وإنما هو لتأكيد معنى الجملة ، فكان كأحد حروفها » . وقال الرضىّ فى شرح (الكافية) : « ولا يفصل قد من الفعل إلا بالقسم » .

قد عنانى من أمر هذا البرزخ ، هذا الحائل : (لا) ما عنى الأستاذ الفاضل العوامرى فاستقريت وفتشت ، فوجدت ما أنا ممليه اليوم فى « الرسالة » الغراء . ولو أدمنت[1] على التنقيب لضممت إلى هذا (الإملاء) شيئاً كثيراً :

١ — كتاب (الأم) للامام الشافعى[1] الجزء (٣) الصفحة (٦٥) : « ... كما أكره الرجل أن يشترى السيف على أن يقتل به ، ولا يحرم على بائعه أن يبيعه ممن يراه أنه يقتل به ظلماً ، لأنه (قد لا يقتل) به ، ولا أفسد عليه هذا البيع »

٢ — لسان العرب . الجزء (٢) الصفحة (٣١١) : قال الخليل بن أحمد : الأمور على ثلاثة أنحاء ، يبنى على ثلاثة أوجه ، شىء يكون ألبتةَ[2] ، وشىء لا يكون البتة ، وشىء قد يكون و (قد لا يكون) ...

٣ — الخصائص لابن جنى الجزء (١) الصفحة (١٩) ... كما أن القول (قد لا يتم) معناه إلا بغيره

٤ — الأنموذج فى النحو للزمخشرى الصفحة (١٠٢) : ولا لنفى المستقبل ، والماضى يشرط التكرير و (قد لا يتكرر) نحو لا فعل

٥ — إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن للعكبرى الجزء (١) الصفحة (١٣٥) : (أن قد صدقتَنا) أن مخففة من الثقيلة ، واسمها محذوف ، وقيل أن مصدرية و (وقد لا تمنع) من ذلك

٦ — الفروق لأبى هلال العسكرى الصفحة (١٨٢) : الفرق بين الطاعة وموافقة الإرادة أن موافقة الإرادة قد تكون طاعة ، و [قد لا تكون] طاعة

٧ — شرح شذور الذهب لابن هشام الصفحة (١٣٨) : تنعت أى باسم الإشارة كقولك يا أيهذا ، والغالب حينئذ أن تنعت الإشارة كقولك :

ألا أيهـذا الزاجرى أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى[3] ؟

و [قد لا تنعت] كقوله : (أيهذان كلا راديدكما) ومثل ذلك

---

(١) الشيخ اليازجى يقول : يقال أدمن العمل ولا يقال أدمن عليه ، الضياء المجلد (٧) الصفحة (٣٥٤) وفى الأساس : وأدمن الأمر وأدمن عليه : واظب

(١) فى طبقات الشافعية : عبد الملك بن هشام : الشافعي ممن تؤخذ عنه اللغة . وفى الكشاف : وكفى بكتابنا المترجم بكتاب (شاف الغى من كلام الشافعي) شاهدا بأنه كان أعلى كعبا وأطول باعا فى علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا

(٢) قال فريق من اللغويين : ألبتة بقطع الهمزة ، وقال فريق منهم : البتة بوصلها . فاقطع (يا أغا العرب) أوصل ... ونصبه على المصدر ، ومذهب سيبويه وأصحابه أن البتة لا تكون إلا معرفة ، وأجاز الفراء التنكير ، فعرف (يافق) فى كلامك أو نكر ...

(٣) أحضر بالرفع وهو القول البصرى ، وبالنصب وفى رواية : ألا أيها اللاعى أن أحضر الوغى

فى الصفحة (٢٠٥) والصفحة (٣٩٥)

٨ — شرح الكافية للرضى الجزء (٢) الصفحة (٣٧٣) : وأما المنقطعة (يعنى أم) فـ [قد لا يتقدمها] الاستفهام ، وقد يتقدمها الاستفهام بالهمزة أو بهل ...

٩ — المقابسات لأبى حيان التوحيدى الصفحة (١٨١) : سئل أبو سليمان هل يجوز أن يقال : الإنسان ذو نفس كما يقال هو ذو ثوب وذو مال ؟ قال : أما على التحقيق فلا ، وذلك أن الإنسان قد يكون ذا ثوب وذا مال و [قد لا يكون] ويستحيل أن يكون الإنسان إنساناً إلا وهو ذو نفس إلا على السعة والمجاز[1] ...

١٠ — مفاتيح الغيب للرازى الجزء (٤) الصفحة (١٣٠) : « ثم ههنا بحث آخر ، وهو أن العداوة والصداقة يمتنع أن تحصل باختيار الإنسان ، فإن الرجل قد يبلغ فى عداوة غيره إلى حيث لا يقدر البتة على إزالة تلك الحالة عن قلبه ، بل [قد لا يقدر] على إخفاء تلك العداوة . ولو أتى بكل تكلف وحيلة لعجز عنه . ولو كان حصول العداوة والصداقة فى القلب باختيار الإنسان لوجب أن يكون الإنسان متمكناً من قلب العداوة بالصداقة وبالضد . وكيف لا نقول ذلك والشعراء عرفوا أن ذلك خارج عن الوسع ؟ قال المتنبى:

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

والعاشق الذى يشتد عشقه قد يحتال بجميع الحيل فى إزالة عشقه ولا يقدر عليه . ولو كان حصول ذلك الحب والبغض باختياره لما عجز عن إزالته » ومثل ذلك فى الجزء الثالث الصفحة (١٩) والجزء الثانى الصفحة (٣٥٢)

١١ — الإيضاح للخطيب القزوينى الجزء الأول الصفحة (١٠٦) : « ... لأن الجملة [قد لا تكون] طلبية كقولنا : نعم الرجل زيد »

١٢ — الموافقات لأبى إسحاق الشاطبى الجزء (٢) الصفحة (٢٠٠) : « وغائبات الأمور [قد لا تكون] معلومة » ومثل ذلك فى الجزء (٤) الصفحة (٨)

١٣ — البصائر النصيرية لزين الدين الساوى الصفحة (٤) : وقد يتردد فى أمور بعد إدراك المحسات وانتزاع القضايا منها ،

(١) قيل له فهل تقول : إن النفس ذات إنسان ، قال : لا ، لأنها غنية عن الاضافة ، ألا ترى أنه لا يقال : إن الثوب ذو إنسان وإن اليد ذات إنسان كما يقال : الانسان ذو ثوب وذو يد لأنه لا حاجة بالثوب إلى الانسان وإنما الحاجة بالانسان إلى الثوب واليد ...

و [قد لا يجد[1]] إلى الحكم الجزم فى بعضها سبيلاً

١٤ — الفرزدق — وبين الحنيفتين عصبة حروف ، عصبة أمم ... لا (لا) فقط، والفعل ماض فالخطب أطم — :

فقالت : سوى ابنى لا أطالب غيره

و [قد يك عاذت] كلم وغلابها

أرى ابنى نفيل من يكون أباله

وعما فـ [قد يوم الرهان تمهلا[2]]

على من جرى والرافعين أكفهم

إلى كل فرع كان بالمجد أطولا

* * *

تلكم أقوال نحويين ولغويين وأدباء وعلماء متقدمين ومتأخرين، فليس ذاك القول بجرّدى عصرى كما حسب الأستاذ السوامرى حتى نحايده . وإن لم تقله العربية الأولى فقد نطق به الألى تلوتَ كلامهم، وفيهم من فيهم . والنحاة يقولون كثيراً : (هذا جائز وإن لم يرد) وإذا أنتجت الحاجة فى الحضارة العربية هذا المسمى بالمولد فجاء من (الكُتْه) (اكتنهه[3]) وما أشبهه ، وتقبله الأدب والعلم ، ألا يسوغ أن يُتبحبح فى (قواعد) بعض تبحبح يُعد اللغة العربية، فتجىء قاعدة مولدة كما جاءت الكلمة المحدثة . وقد قرأنا فى (الكليات) : « كل مبتدأ عقب بإن الوصلية فإنه يؤتى فى خبره بإلا الاستدراكية أو بلكن مثل (هذا الكتاب وإن صغر حجمه لكن كثرت فوائده) وذلك لما فى المبتدأ باعتبار تقييده بأن الوصلية من المعنى الذى يصلح الخبر استدراكا له ، واشتمالاً على مقتضى خلافه »

والمثل الذى أورده أبو البقاء إنما هو محدث والقاعدة مولدة

وإذا قال أبو حيان فى شرح التسهيل : « العجب ممن يجيز تركيباً ما فى لغة من اللغات من غير أن يسمع من ذلك التركيب نظائر . وهل التراكيب العربية إلا كالمفردات اللغوية ، فكما لا يجوز إحداث لفظ مفرد كذلك لا يجوز فى التراكيب .

(١) ممن ورد فى كلامهم مثل ذلك من أهل عصرنا — اليازجى والرافعى، والزيات والمازنى وكرد على والمردى والريحانى والبشرى وطه .

(٢) من قول الشيخ حمزة فتح الله فى تقريظ كتاب (كمال العناية) : قد ولاشك لحظتك فيه عين العناية

(٣) إذا قال الجوهرى فى صحاحه : كنه الشىء نهايته ، ولا يشتق منه فعل ، وقولهم : لا يكتنهه الوصف يعنى لا يبلغ كنهه أى قدره وغايته كلام مولد — فالحريرى يقول فى السادسة والأربعين : لجئت إليه لأبلو جنى نطقه ، وأكتنه كنه حمقه . وأساس البلاغة يقول : اكتنه الأمر بلغ كنهه ، وعندى من السرور بمكانك ما لا يكتنهه الوصف